اللّهجات العربية وعوامل تطوّرها

Factors Developing Arabic Dialects

تاريخ الإرسال: 2018-07-09 تاريخ القبول: 2018-07-27

الدكتورة: ليلى صديق

أستاذة محاضرة قسم "أ"

البريد الالكتروني: sadik_leila@yahoo.fr

قسم اللغة العربية- جامعة عبد الحميد بن باديس "مستغانم" الجزائر

الملخص:

تشكّل اللهجة مجموعة من الصّفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئته أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظّواهر اللغوية التي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، كما اتّفق معظم الباحثين المحدثين على أنّ اللّهجات العربية المنتشرة الآن لا تختلف أسباب وجودها عن أسباب وجود اللّهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية، وكذا الأمر نفسه بالنسبة لعوامل تطوّرها؛ كالعوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والجغرافية...الخ.

الكلمات المفتاحية: .اللّهجة، اللّغة، النشأة، التطوّر، الانعزال، الاحتكاك، الجغرافية، الصّراع اللغوي، الهجرة، نظرية السّهولة، جهاز النّطق، الطّبيعة، العوامل الاجتماعية...الخ.

Abstract:

The space if any speech community is too large so that it contains many dialects , and each one with its own characteristics. Thus , all these dialects constitute the linguistic phenomena that facilitate communication among them . consequently , many researchers confirm that there is no difference between the origin and factors of dialects development of nowadays Arabic dialects and old Arabic ones , such as language interference and the societal , economic geographical factors .

Key words: Dialect, Language, Creation, Development, Isogloss, Atlases Geography, Phonological System , Sociolinguistics, Language Conflicts

1- اللهجة وعوامل نشأتها.

أ- اللهجة لغة:

جاء في اللسان أنّ "اللَّهَجَةُ واللَّهْجَةُ : طرف اللسان. واللَّهَجَةُ واللَهْجَةُ: جرس الكلام، والفتح أعلى. ويقال فلان فصيح اللَهْجَةُ واللَّهَجَةُ وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. قال الجوهري : لَهِجَ، بالكسر، به يلهج لهجا، إذا أغري به فثابر عليه. واللهجة : اللسان، وفي الحديث : ما مِن ذي لهجة أصدق لهجة من أبي ذر،

قال: "اللهجة: اللسان"(1). فالعلماء القدماء لا يفرقوا في الاستعمال بين اللغة واللهجة، وإنّما استعملوها بمعنى واحد فقالوا : لغة طيئ ولغة تميم. وهم يريدون اللهجة. وجاء في القرآن الكريم (اللسان) بمعنى اللغة نحوا ثماني مرات(2).

ب– اللهجة اصطلاحا:

أما اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث، فهي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئته أوسع و أشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض. ويتوقف فهم ما قد يدور بينهم من حديث على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات(3).

ويذهب إبراهيم أنيس إلى أن تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي أصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللغة و اللهجة هي علاقة بين العام و الخاص. فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها. و جميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية و العادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات(4).

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة، فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها. فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان كعنعنة تميم و قيس، و هي إبدال الهمزة عينا فيقولون عِنَّكَ وعَنْتَ في إِنَّكَ و أَنْتَ، وفحفحة هذيل وهي إبدال الحاء عينا كقولهم في حتّى (عتّى)؛ وشنشنة اليمن وهي إبدال الكاف شينا كقولهم لَبَّيْشَ اللهم لَبَّيْشَ في لبيك اللهم لبيك، وتلتلة بهراء، وهي كسر تاء مضارعة لقولهم تِلْعَبُ(5)، وغيرها كثير من هذه الصفات التي تميزت بها اللهجات العربية القديمة من الناحية الصوتية. غير أن اللهجة تتميز أيضا بصفات ترجع إلى بيئة الكلمة و نسجها أو إلى معانيها. فيروى أن بني أسد كانوا يقولون في سكرى (سكرانة) وأن بعضا من تميم كانوا يقولون مدينون بدلا من مدين. كما تذكر المعاجم أم كلمة الهجرس تعني القرد عند الحجازيين و الثعلب عند تميم(6).

ولا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الألفاظ والمعاني، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات وتركيب الجمل. فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها واتخذت أسسا خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها، فلا تسمى حينئذ لهجة؛ بل لغة مستقلة تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية ولها عناصر تكاد تنحصر في الأمور الآتية:

- الضمائر
- الأعداد
- أسماء الإشارة والموصول

– الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة كالأرض و السماء وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن.

– أدوات الربط بين أجزاء الجملة(7).

أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات، فتكمن في النقاط الآتية :

– اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.

– اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

– اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين (الحركات الطويلة و القصيرة).

– تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

– اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض(1).

– اختلاف في صفة بعض الأصوات اللغوية من جهر و همس أو شدة أو رخاوة.

ويرى إبراهيم أنيس انه من العسير أن نضع حدا أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة، لأن عملية النطق ليست إلا نشاطا عضليا يختلف أداؤه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة. وقد برهنت التجارب الدقيقة التي قام بها علماء الأصوات اللغوية على أنه لا يكاد يوجد شخصان في بيئة واحدة ينطقان نطقا متماثلا تمام التماثل، بل لاحظوا أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها، وذلك لان عضلات النطق لا تؤدي عملها بالصورة نفسها في كل مرة ويعزى إلى عاملين رئيسيين لتكوين اللهجات في العالم هما :

أ– الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

ب– الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

و قد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة للغة الواحدة، نتيجة هذين العاملين أو كليهما معا(8).

فالظروف الاجتماعية هي التي تساعد الانعزال الجغرافي لتوحد الأنماط السائدة في المجتمع. كما تتدخل عوامل أخرى يمكن تلخيصها في العوامل السياسية وقيمتها التي تتمثل في الرقي أو غيره، وعوامل تاريخية وجغرافية ومناخية توضح ملامح البيئة وتحكي تاريخها وتظهر فروق الأجناس الإنسانية وما يتميزون به من غيرهم. وهذه اللهجات تبقى طويلا ما دام أفرادها منعزلين ومحافظين، وتمتص ما ينقل إليها من لهجات أخرى بسبب زواج أو تجارة أو هجرة أفراد قلائل.

و قد تتزاحم اللهجات في البلد الواحد و تتعايش في سلام على الرغم من اختلافها بسبب اختلاف طبقات الناس وفئاتهم : من موظفين، وحكام، وعمال، وجنود، وبحارة، و أصحاب حرف و صنائع. و مرجع ذلك

إلى اختلاف التفكير، والثقافة، و المستوى المعيشي، و البيئة الاجتماعية، و العادات، و التقاليد و الأدوات التي تستخدم في كل بيئة(9).

ويذهب إبراهيم أنيس إلى أن العامل الرئيسي في تكوين اللهجات هو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة. فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما، و إما أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة تشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك(10).

وقد روى لنا التاريخ أمثلة كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللغة العربية أن تصرع تلك اللهجات في مهدها وأن تحل محلها، فتغلبت على الآرامية في العراق والشام، وعلى القطبية في مصر، وعلى البربرية في بلاد المغرب، وعلى الفارسية في مملكة فارس القديمة. وقد تغلبت العربية حين حملت رسالة الإسلام وحضارته في فتوحاتها على كثير من الساميات وأضحت لغة الدولة والدنيا والدين، ومع أن العرب كانوا قلة في بلادهم وفي الفتوحات الإسلامية بالنسبة إلى أهل البلاد التي اعتنقت الإسلام؛ إلا أن الحضارة والثقافة الإسلامية رجحت الكفة للعربية.

على أن احتكاك العربية باللغات المغزوة والمجاورة جعلها تؤثر وتتأثر حسب قانون التجاور والصراع(11)، فتأثرت بالآرامية في ألفاظ الحضارة والصناعة والتفكير الفلسفي و باليونانية في مفردات مثل (أسطوانة،و ناموس وإسفنج وإنجيل، الخ) كما أثر في غيرها و كان أثرها في الفارسية أكثر، إذ أن معظم المفردات الفارسية الحديثة عربية الأصل وكذا في اللغات الأردية، والأفغانية، والكردية والبخارية، لأن هذه الأجناس استقبلتها بحفارة وقداسة(12). وتمطر اللغة الغالبة المغلوبة بوابل من الألفاظ، ثم تضمحل وتتلاشى بعد حين في كل مظاهرها.

وتتعايش اللغتان معا أحيانا ولا تستطيع إحداهما التغلب على الأخرى، ويرجع ذلك إلى عراقة كليهما في الثقافة و الحضارة أو لقلة أفراد المهاجرين. فاللاتينية مثلا لم تتغلب على الإغريقية لعراقتها في الحضارة. كما لم تستطع التركية (لغة الإمبراطورية العثمانية) في إبان عظمتها وسطوتها التغلب على أي لغة في البلاد التي خضعت للإمبراطورية العثمانية، إذ ليس للتركية حضارة سابقة، فضلا عن أن الأتراك لم يمتزجوا بأصحاب البلاد التي حكموها.

والإنجليزية لم تقهر الهندية، مع طول استعمار الإنجليز للهند، لأن الهند عريقة في الحضارة ولأن الامتزاج لم يقع بين المستعمر وأهل البلاد.

ثم إن تعايش اللغتين يجعلهما يتأثران ببعضهما. وتقترضان الألفاظ وهذا دليل على حيويتهما وتميز شخصيتها.

وكذلك تتأثر اللغات نتيجة الحروب أو التجارة أو المجاورة فالإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية مثلا تتقارض المفردات وتأثرت كلها ببعضها البعض بسبب الحروب التي قامت في أوربا.

وقد نقلت الحروب الصليبية إلى اللغات الأوروبية كثيرا من الألفاظ العربية. وذكر بعض العلماء أن الإسبانية أخذت من العربية أكثر من أربعمائة لفظة في شؤون البحرية وحدها(13).

والمعاملات التجارية فصل من نقل أسماء الأشياء التجارية المتبادلة، كما للعلاقات الثقافية أثر كبير في التأثير والاقتراض(1).

وخلاصة لما قيل، إن اللغة العربية تعد إحدى اللغات المتفرعة عن اللغة السامية الأم التي تشكل شبه وحدة شعبية، إلا أن من العسير جدا تعيين ذلك الأصل وتحديد هذه الوحدة، لأن المهد الأول للساميين ما يزال غامضا ومجهولا، رغم أبحاث العلماء الكثيرة الواسعة الأفاق. و يرجع أرنست رينان الفرنسي (ERNEST Renan) وبروكلمان الألماني (BROCKELMAN) أن الموطن الأول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية(14).

واللغات السامية تشترك في عدد من الخصائص الدالة على وحدتها اللغوية، فهي تمتاز عن سائر اللغات الأخرى بأصول كلماتها تتألف غالبا من ثلاثة أصوات ساكنة مثل (ض.ر.ب)، وإن كان بعض المحدثين يقولون بثنائية الأصول السامية.

وتمتاز هذه اللغات عن سائر اللغات في دلالتها على المعنى الأصلي باعتمادها على حروف المباني، وفي تفرقتها بين المعاني المتكافئة باستخدامها حروف المعاني أو الحركات، نحو لفظ (م.ل.ك)، فهو يدل على معنى مشترك بين عدد من الكلمات التي تتألف من هذه الأصول الثلاثة، فمنه مَلَكَ، مَلِكٌ، مُلْكٌ، الخ... (15).

واللغة التي نستعملها الآن في الكتابة والتأليف والأدب هي اللغة العربية الباقية التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي. والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي اللغة الفصحى أو اللغة المشتركة الموحدة بين جميع العرب.

والواقع أن الإسلام صادف – حين ظهوره – لغة مثالية مصطفاة موحدة جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لدعامتهم، و قوى أثرها نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين. وهو ذلك اللسان المثالي، وكان تحديه لخاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله، على حين دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها، بالتوسعة في القراءات، و مراعاة اللهجات، في أحرفه السبعة المشهورة(16).

ويرجع تكوين اللغة المشتركة بمكة قبل الإسلام إلى عوامل كثيرة منها : العامل الديني، والثقافي، والسياسي، والاقتصادي، حين خالطت قريش القبائل العربية الوافدة عليها. فوقع التأثير وتأثر بين جميع اللهجات، فتأثرت اللهجة القريشية باللهجات الأخرى، ويروي السيوطي عن الفراء أنه قال : "كانت العرب تحضر الموسم كل عام، وتحجّ البيت في الجاهلية، وقريش يستمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ"(17).

كما تأثرت اللهجات العربية بالقرشية، فتكونت اللغة المشتركة لا شعوريا عند الخاصة من العرب، وتحكمها قواعد وقوانين من مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية إلى غير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومتن اللغة(18).

أما اللهجة فهي طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.

ويعرفها بعض الدراسيين بأنها "الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان ومن ذلك في لهجات العربية القديمة : العنعنة وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا"(19).

وترجع نشأة اللهجات عادة إلى الأسباب الآتية :

1- الأسباب الجغرافية: فالأرض التي تعيش عليها البشر مختلفة، ففيها الجبال والسهول والوديان، وفيها الأراضي الزراعية والقاحلة، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان نعين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإن ذلك يؤدي – مع تطاول الزمن – إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات. وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا ونفسيا، كما هو الواقع، فإنها تؤثر في أعضاء النطق وطريقة الكلام(20).

2- الأسباب الاجتماعية: لا تحيا اللغة إلا في مجتمع إنساني، وهي مؤسسة تؤدي وظائف اجتماعية. ومن هنا كان علم اللغة وثيق الصلة بعلم الاجتماع، فظهر علم اللغة الاجتماعي، واهتماماته كثيرة ومتنوعة، منها اللهجات المختلفة التي يتوزع إليها المجتمع الكبير، الّذي يضم في داخله مجتمعات أصغر مثل مجتمع المدينة، ومجتمع القرية، ومجتمع البادية وغير ذلك، وكل مجتمع من هذه المجتمعات يتحدث بلهجة تختلف اختلافا ضئيلا عن لهجة المجتمع الصغير الّذي يجاوره(21).

فلكل بيئة صغيرة لهجاتها الخاصة، فتنبع من حياتها تبعا للطبقات المتعددة، فلهجة للأرستقراطيين، وأخرى للزراعيين، وثالثة للتجاريين، ورابعة للبحريين، وخامسة لأرباب الصناعات والمهندسين، وسادسة للرياضيين، وغير ذلك من ألوان اللهجات التي تناسب كل الفئات الاجتماعية، ولذا يطلق علماء اللغة المحدثون على هذا اللون اللهجي اسم اللهجات الاجتماعية، وأهم تلك اللهجات ما يسمونه اللهجات الحرفية(22).

3- الأسباب الفردية: من الحقائق الثابتة أن اللغة وإن "كانت واحدة لدى كل الشعوب ولكنها متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها. ومن المسلم به انه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة ولا تتفرق"(23). فلكل فرد من المجتمع له لغته الخاصة تميزه عن غيره، وهذا الاختلاف في النطق مع مرور الزمن يؤدي إلى نشأة اللهجة إلى جوار اللهجات الموجودة(24).

واللهجة الفردية (Idiolect) لا تتصف بالثبات، فالفرد يظل طول حياته يكتسب اللغة، و يعدل ويبدل فيها, والنمو الديمغرافي والتغير في المراكز الاجتماعية والانتقال من طبقة إلى أخرى تحدث تغييرات كبيرة في لغة الفرد سواء في طريقة الكلام أو في المفردات والتراكيب(25).

كما هناك فرق بين لغة الرجال ولغة النساء، فأصوات النساء أكثر حدّة، وأعلى طبقة من أصوات الرجال، كما أن النساء أكثر وضوحا في النطق من الرجال وضوحا من الرجال، وأكثر منهم حرصا على سلامة النطق؛ وللنساء كلمات خاصة بهن لا يستعملها الرجال مثل أسماء الألوان؛ الموف، تركواز، والبيج، وغير ذلك من أسماء الألوان التي لا يستعملها الرجال إلا نادرا. ويكثر في لغة النساء أيضا صفات تعبّر عن جيشان العاطفة(3).

وهذه الفروق تزداد في المجتمعات المغلقة التي لا تسمح بالاختلاط بين الرجل والمرأة، وتقل أو تتلاشى في المجتمعات المفتوحة التي تبيح الاختلاط بين الجنسين في شؤون الحياة المختلفة.

4- احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو مجاورات: إن الاحتكاك بين اللغات أمر لا بد منه لأن اللغة كائن حي، ولأن تطور الحضارة وتنوع مصادر الحياة يؤثر في حياة الإنسان وإن احتكاك اللغات من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات.

إلى اللهجة العربية المنتشرة الآن لا تختلف أسباب وجودها عن أسباب وجود اللهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية "ونحن نعلن أن اللغة العربية لم تكن لغة متوحدة توحدا كاملا بل كانت لهجات متعددة تختلف فيما بينها اختلافا يكبر أو يصغر ولكن هذه اللهجات لم تكن حائلا دون وجود لغة مشتركة عامة استعملها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول"(26).

2- عوامل التطور اللغوي:

أ- اختلاف أعضاء النطق:

يزعم بعض العلماء أنّ تغير الأصوات من جيل إلى جيل ليس إلاّ نتيجة تطور عضلي في أعضاء النطق. فقد يكون لاختلاف تكون أعضاء النطق تغير في الأصوات ويرى إبراهيم أنيس في هذا الرأي أنه بعيد عن الحقيقة وقد برهن علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الانسان تتحد في جميع تفاصيلها. كما برهن بعضهم على أنّ حنجرة أشهر المغنيين لا تمتاز عن حنجرة الرجل العادي من هذهِ الناحية، والفرق بين المغنى وغيره أن الأول يملك زمام تنفسه ويسيطر على ما يندفع من الرئتين من هواء سيطرة تامة.(27)

كما يرى علي عبد الواحد وافي أنَّ كل تطور يحدث في أعضاء النطق، مهما كان مبلغه، يتبعه تطور في أصوات الكلمات؛ فتنحرف هذهِ الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع

الحالة التي إنتهت إليها أعضاء النطق.كما يرى أنّه ليس من الميسور وضع قواعد عامة مضبوطة لاتجاهات هذا التطور، لأن الأمر يختلف إختلافًا كبيرًا باختلاف اللّغات والبيئات والشعوب.(28)

ب– نظرية السهولة:

يرد إبراهيم أنيس بأن الإنسان يميل في نطقه لأصوات لغته إلى الاقتصاد في المجهود العضلي وتلمس أسهل السبل، للوصول إلى ما يهدف إليه، من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه.(29)

ج– تأثير العوامل الاجتماعية :

تتأثر اللّغة بحضارة الأمة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرتها إلى الحياة، وما إلى ذلك. فكلّ تطور يحدث في ناحية من هذهِ النواحي يتردد صداه في أداة التعبير، ولذلك تعدّ اللّغات أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب، ويتضح هذا خاصة في لهجاتها العامية الحديثة التي كانت في واجهة الحوادث التاريخية من إستعمار وغير ذلك. فبالوقوف على المراحل التي إجتازتها لغة ما وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها يمكن إستخلاص الأدوار التي مرّ بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم. فكلما إتسعت حضارة أمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقي تفكيرها، وتهذبت إتجاهاتها النفسية؛ نهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.(30)

د–أثير العوامل الطبيعية:

يقصد بهذه العوامل الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية والبيولوجية والاثنولوجية، وغيرها من الأمور التي تتصل بالبيئة الطبيعية أو بوظائف الأعصاب أو بتطور الناحية الجسمية في الإنسان أو باختلاف الشعوب في خواصها الوراثية.(31)

أمّا البيئة الجغرافية فإنّ لها أثرًا كبيرًا في خصائص اللّغة بلهجاتها المختلفة وفي كثير من مظاهر التطور اللّغوي، وكما يحدث بين الحضارة الأمة ولغتها من توافق وإنسجام يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية. فجمع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانه وتتجه بها نحو سبيل التطور وجهة خاصة. ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللّغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة، وبين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية، وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية. وقد نشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللّغوية الواحدة وحتى بين لهجات اللغة الواحدة. فكلّ بنية جغرافية إلاّ ولها بيئة لغوية خاصة بها من أسماء النباتات والأودية والجبال وغير ذلك. ومن هنا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كلّ لغة ولهجة مستمدًا من مظاهر البيئة وما إختصت بِهِ طبيعة البلاد.(32)

ومما تقدم نقول إنّ اللّغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، فهي عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها: الصوتية والتركيبية والدلالية؛ وأنّ تطورها لا يجري تبعًا للأهواء والمصادفات؛ أو وفقًا لإرادة الأفراد، وإنّما يخضع في سيرهِ لقوانين جبرية ثابتة، واضحة المعالم، وليس في قدرة الأفراد أنْ يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي. وهذا ما حدث الآن في لهجات المحادثة. فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانة اللّغة العربية ومحاربة ما يطرأ عليها من تحريف، ومع أن هذهِ الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين، فإنّ ذلك كله لم يحل دون تطورها في الأصوات والقواعد والأساليب ودلالة المفردات إلى الصورة التي تتفق مع قوانين التطور اللّغوي؛ فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللّهجات العامية(33).

هذهِ إذا أهم العوامل في التطور اللّغوي التي تخضع لها جميع اللّغات بلهجاتها العامية، ولكن بعض المحدثين من يرى أنّه من الصعب تحديد أسباب العامل الأساس في هذا التطور أو ذاك.(34).

الهوامش:

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1968، مادة (لهج).

(2) ينظر : علم اللغة العام، د. توفيق محمد شاهين، دار أم القرى للطباعة والنشر، ط 1، 1980 م، ص 131.

(3) ينظر : في اللهجات العربية، ص 16.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مادة (لهج).

(5) ينظر : مولد اللغة لعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، 1983 م، ص 114 – 115.

(6) ينظر : في اللهجات العربية، ص 17.

(7) ينظر : في اللهجات العربية، ص 18 – 19.

(8) ينظر : في اللهجات العربية،، ص 21.

(9) ينظر : علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، ص 133.

(10) ينظر : في اللهجات العربية، ص 23.

(11) ينظر :علم اللغة العام، ص129.

(12) نفسه: ص 130.

(13) ينظر : علم اللغة العربية، ص 131.

(14) ينظر : دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط 8، 1980م، ص 48.

(15) نفسه، ص 49.

(16) دراسات في فقه اللغة، ص 59.

(17) المزهر، 221/1.

(18) ينظر : اللهجات العربية نشأة و تطورا، د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ب ت، ص 408.

(19) ينظر : اللهجات العربية نشأة و تطورا ص 33.

(20) ينظر : اللهجات العربية نشأة و تطورا، د. عبد الغفار حامد هلال، ص 39.

(21) ينظر : علم اللغة بين التراث و المعاصرة، د. عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987 م، ص 50 – 51.

(22) ينظر: اللغة، د.ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة لجنة البيان العربي، ص315 و428.

(23) اللغة، د. ج. فندريس، ص 295.

(24) ينظر : الخصائص الصوتية في لهجات الإمارات العربية – دراسة لغوية ميدانية – د. أحمد عبد الرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص 12.

(25) ينظر : علم اللغة بين التراث و المعاصرة، عاطف مذكور، ص 52 – 53.

(26) الخصائص الصوتية في لهجات الإمارات العربية. دراسة لغوية، مبدئية د. أحمد عبد الرحمن حماد، ص 14.

(27)- ينظر: الأصوات اللّغوية، ص 222- 223.

(28)- ينظر: اللّغة والمجتمع، ص 55- 56.

(29)- المرجع السابق، ص 235.

(30)- ينظر: اللّغة والمجتمع، ص 9.

(31)- نفسه، ص 62.

(32)- ينظر: اللّغة والمجتمع، ص 63.

(33)- نفسه، ص 92.

(34)- ينظر: الأصوات اللّغوية، ص 222.